﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: 83]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا جاءَ في السِّياقِ السَّابقِ وصفُ أقوالِ المنافقين المخالفةِ لاعتقادِهم، ناسبَ أن يذكرَ أفعالَهم السُّلوكيَّةَ المتوافقةَ مع اعتقادِهم؛ لتكونَ دليلًا على نفاقِهم، وعلامةً على ذواتِهم، فهو من عطفِ الحدثِ على الحدثِ؛ للتَّناسبِ بينهما.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَمۡنِ﴾ ﴿ٱلۡخَوۡفِ﴾: أَصْلُ الأَمْنِ: طَمَأنِينَةُ النَّفسِ وزَوالُ الخَوفِ، والأَمنُ والأَمَانَةُ والأَمَانُ في الأصل مصادر. أي: جاءهُم خَبَرٌ بفتحٍ، وغَنِيمَةٍ. والخَوفُ: مَصدَرُ: خَافَ يخَافُ خَوْفًا وَخِيفَةً وَمَخَافَةً؛ وَمعناهُ في لُغَةِ العَرَبِ: الفَزَعُ، و﴿ٱلۡأَمۡنِ﴾ و﴿ٱلۡخَوۡفِ﴾ في الآية يعني: ما يتعلّق بالغزوِ من أحوالِ النَّصرِ والهَزيمَة[1].

2) ﴿أَذَاعُواْ﴾: الذَيْع: أَن يَشِيعَ الأَمر. يُقَال: أذعناهُ فذاعَ. وَرَجُلٌ مِذْياعٌ: لا يَستَطِيع كِتمان خَبَر. وَقومٌ مَذاييعُ. وقالَ أَبُو إِسحَاق: يَعنِي بِهذا جمَاعَةً من المُنَافِقين، وضَعَفَةً من المُسلمين. قَالَ: ومعنى ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أي أَظهَرُوه ونادَوا بِهِ في النَّاس، وأنْشد:

أذاع بِهِ في النَّاس حَتَّى كَأَنَّهُ *** بعلياءَ نارٌ أُوقدت بثَقُوب[2]

3) ﴿رَدُّوهُ﴾: الرَّدُّ: صَرفُ الشَّيءِ، يُقالُ: رَدَّهُ عن طَرِيقِهِ، أي: صَرَفَهُ. ويأْتي بِمعنى المَنعِ والرَّفضِ، وشَيءٌ مَردُودٌ؛ أي: مَرفوضٌ. ورَدَّ فُلانًا: خَطَّأَهُ؛ أي: لَمْ يَقْبَلْهُ. وَمِن مَعانِيهِ أيضًا: الإِعادَةُ والإِرجاعُ، تَقول: رَدَّهُ إلى مَنزِلِهِ؛ أي: أَعادَهُ، ورَدَّ إِلَيهِ جَوابًا، أي: أَرجَعَهُ وأَرسَلَهُ. فمعنى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ أي: فوَّضوا أمرَه وسكتوا عن الخوضِ فيه.

(1) الواحدي، البسيط: 6/633، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (أمن)، و(خوف).
(2) الزجاج، معاني القرآن: 2/83، والأزهري، تهذيب اللغة: (ذيع).

4) ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾: الوَلَايَةُ: تَوَلِّي الأمرِ. والأَمْرُ: الشَّأن، وجمعه أُمُور لا أوامر، ومصدر أمرته: إذا كلَّفتُه أن يَفعَلَ شيئًا، وهو لفظٌ عامٌّ للأَفعالِ والأَقوالِ كُلِّها. و﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾: هُم أَصحابُ رَسُولِ اللّه ﷺ ومَنْ اتَّبَعهُم مِنْ أَهلِ العِلمِ، وقِيل: إنَّهم هُمُ الأُمَراءُ، والأُمَراءُ إذا كانوا أولي عِلمٍ ودِينٍ آخذين بما يقوله أَهل العِلمِ، فَطاعَتُهُم فَريضَةٌ[1]، والصَّحيحُ أنَّهم أصحابُ الاختصاصِ والعلمِ في كلِّ علمٍ وفنٍّ.

5) ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: الاستِنْبَاطُ: استِفْعالٌ من أَنْبَطَ الماءَ، إنْباطًا: إذا استَخرجَه، وأَصلُهُ مِنَ النَّبَطِ، وهو الماءُ الذي يَخرُجُ مِن البِئرِ أَوَّلَ ما تُحفَرُ، وكُلُّ ما أُظهِرَ بعد خَفاءٍ فَقَد أُنْبِطَ، واسْتُنبِط، ومِن ذلك قَولُهُمْ: اسْتَنبَطَ الفَقيهُ الحُكمَ؛ أي: استَخرَجَه باجتِهادِهِ وفَهمِهِ[2]، ومعناه في الآيةِ: يستخرجون ما يليقُ نشرُه من الأخبارِ وما لا يليقُ، فيما يخدمُ مصلحةَ المسلمين.

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

ولو أَنَّ هَؤلاءِ المُنَافِقِينَ، والمُذِيعِينَ رَدُّوا الأَمرَ مِن الأَمنِ، والخَوفِ إلى الرَّسُولِ ﷺ وإلى أُولي الأَمرِ، وطَلَبُوا مَعرِفَةَ الحَالِ فِيهم مِن جِهَتِهِم؛ لَعَلِمُوا حَقِيقَةَ ذلكَ منهم، وأَنَّهم أَولَى بالبَحثِ عَنهُ؛ فإنَّهم أَعلَمُ بِما يَنبَغِي أَنْ يُذَاعَ، أو يُكتَم. ثُمَّ في هذه الآية تَأديبٌ لِمَن يُحدِّثُ بكُلِّ ما سَمِعَ، وكَفَى بِهِ كَذِبًا وافتِراءً وزُورًا أَنْ يُحدِّثَ الإنسانُ بِما سَمِعَ قَبلَ تَمحِيصِهِ، والتَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّتِهِ. قالَ الرَّسُولُ ﷺ: "كَفَى بِالمَرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دقَّةُ استعمال (إذا) في قولِه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾:

جاءت الجملةُ الشّرطيَّةُ بأداة الشَّرطِ ﴿وَإِذَا﴾: وهي ظرفٌ للزَّمان فيه معنى حتميَّةِ الحُدوث وكَثرَتِه؛ لبيانِ أنَّهم بمجرَّدِ مجيءِ الأمرِ إليهم يُذيعونه.

تصويرُ سرعةِ الاستجابةِ في إذاعةِ الأخبارِ لإلحاقِ الضَّررِ بالمؤمنين

(1) الزجاج، معاني القرآن: 2/67، والراغب، المفردات: (أمر)، و(ولي).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نبط).
(3) مسلم، الصحيح، الحديث رقم: (5).

فائدةُ اختيارِ ﴿جَآءَهُمْ﴾ دون مرادفاته في الاستعمال:

الخبرُ الصَّحيح بـدون توضيحٍ أشـدُّ ضـررًا من الكاذبِ أحيانًا

اختير لفظُ المَجيءِ في قولِه: ﴿جَآءَهُمْ أَمْرٌ﴾ دون المُرادِفات الاستعماليّة التي تُؤدِّي المعنى من مثل: (إذا سمعوا أمرًا) لإفادةِ تحقُّقِ الأمرِ والتَّيقُّنِ منه باعتبارِه خبرًا من الأخبَارِ، فالمجيءُ هنا مَجَازٌ عُرفيٌّ في سَمَاعِ الأَخبَارِ، والأَمرُ هُنَا الخَبَرُ، بِقَرِينَةِ قَولِهِ: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[1]، فهم يتيقّنون سماعَ الخبرِ، ثم يُذيعونه، فليس مقصودُهم نقلَ الأكاذيب، بل نقلُ الأخبارِ الصَّحيحةِ التي من شأنِها زَعزَعة المجتمعِ، فالخبرُ الصَّحيحُ إن لم يُفقه على وجهه السَّليم أحدث إرباكًا في المجتمعِ.

اختلافُ المفسّرين في تعيينِ مرجعِ الضَّميرِ في قولِه: ﴿جَآءَهُمْ﴾:

الـصَّـحـيـحُ أنَّ الضَّميرَ عائدٌ إلى المنافقين

اختُلِفَ في مرجعِ ضَميرُ الجَمعِ في قوله تعالى: ﴿جَآءَهُمْ﴾ فقيل: رَاجِعٌ إِلَى الضَّمَائِرِ قَبلَهُ، العَائِدَةِ إِلى المُنَافِقِينَ، وهُوَ المُلَائِمُ لِلسِّيَاقِ[2]، وقيل: عائدٌ إلى ضَعَفَةِ المسلمين، وهؤلاءِ نظرُوا إلى الجملةِ الواردة بعده: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ الحديثَ المحيطَ بالآيةِ سِباقًا ولحاقًا في المنافقين، ودليلهم هذا هو دليلٌ كذلك للقائلين بأنَّ مرجعه المنافقون، وأمَّا ﴿مِنْهُمْ﴾ فهي باعتبارِ المجتمع الظَّاهرِ لا باعتبارِ الإيمانِ وعدمِه.

فنُّ الجناسِ البديعيّ:

وقد تضمّنت جملةُ الشَّرطِ جناسًا بَينَ ﴿أَمْرٌ﴾ ﴿ٱلْأَمْنِ﴾، وهو جِنَاسٌ غَيرُ تامٍّ، فالكَلِمتَانِ اختَلَفَتَا في حَرفٍ واحدٍ، والحَرفَانِ المُختَلِفَانِ الرَّاء والنُّون مُتقارِبانِ في المَخرَج، إذ كِلاهُما يَخرجُ مِنْ طَرَفِ اللِّسانِ مع ما فَوقَ أُصُولِ الثَّنايا العُليا[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/139.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/139.
(3) العلوي، الطراز: 3/165، والصعيدي، بغية الإيضاح: 4/645.

فنُّ الطِّباقِ البديعي:

في الآيةِ طباقٌ بَينَ ﴿ٱلْأَمْنِ﴾ و﴿ٱلْخَوْفِ﴾، وهو طِبَاقٌ بَينَ اسمَين عن طَريقِ الإيجاب؛ لأنَّ المَعنَيين المُتضادَّين مُثبَتان.

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿أَذَاعُواْ﴾:

المُنافقُ مَجبولٌ على الإذاعةِ خيرًا أو شرًّا

جاء جوابُ الشَّرطِ بلفظٍ لم يأتِ في القرآن إلَّا في هذا الموضع، يُقَالُ: أَذَاعَ السِّرَّ وأَذَاعَ بِهِ، أي: أشَاعَهُ وأفشَاهُ، ومعنى ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أظهَرُوه، وهو كلامٌ مَسُوقٌ لِدَفعِ مَا عَسَى يُتوهَّم في بعض الموادِّ مِنْ شَائِبةِ الاختِلافِ بناءً على عَدَمِ فَهمِ المُرادِ ببَيان أنَّ ذلكَ لعَدَمِ وقُوفِهم على مَعنى الكَلامِ، لا لِتَخَلُّفِ مَدلُولِهِ عنه[1].

معنى الباءِ في قولِه: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾:

البَاءُ في قولِه: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ لِتوكِيدِ اللُّصُوقِ، كما في: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المَائِدَة: 6]، وقيل: الباءُ لتَضَمُّنِ الإذاعةِ معنى التَّحديثِ وجعلها بمعنى (مع)، وقيل: معنى أَذاعُوا بِهِ: فَعَلُوا بِهِ الإذَاعَةَ، وهو أَبلَغُ من (أَذَاعُوهُ)، والضَّميرُ للمَجيءِ ممَّا لَا يَنبغي تَخريجُ كلامِ اللهِ تعالى الجليلِ عليه[2]. والضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ يَعُودُ إلى ﴿أَمْرٌ﴾، سواءٌ أكان أمنًا أو خوفًا[3].

نكتةُ إظهارِ لفظِ الرَّسولِ دون إضمارِه:

من حقِّ الرَّسولِ أنْ تُردَّ إليه المُشكلاتُ ومستجدَّاتُ الحياةِ

جاءَ قَولُه تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ بالإظهارِ دون إضمارِ الرَّسول؛ فوُضِعَ المُظهرُ موضعَ المُضمرِ؛ لأنَّ "عُنوان الرِّسالة مِن مُوجِبَاتِ الرَّدِّ والمُراجعة إلى رَأيه ﷺ وأنَّه مِنْ أَحَقِّ حُقوقِهِ أَنْ يُرَدَّ إليه في كافَّةِ الأُمور في حَياتِه، وإلى ما جاءَ به مِنْ عند اللهِ ﷻ بعدَ انتقَالِهِ إلى الرَّفيقِ الأَعلى"[4].

(1) أبو السعود: إرشاد العقل السليم: 2/208.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 3/90، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/140.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 1/378.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/208.

علَّةُ مجيءِ الفاعلِ اسمًا موصولًا:

المستنبطونَ إمَّا أن يكونوا من ولاةِ الأمر أو من الرَّادِّين

جاء الفاعلُ اسمًا موصولًا ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ في مَوضِع الضَّمير؛ فلم يَقُل: (لَعَلِمُوه)، واختلف المفسِّرون بالمرادِ بهم، فقيل: الرَّادُّون من المنافقين، وقيل: أولو الأمر، فعلى القول الأوَّلِ يكون سببُ التَّعبير بالاسمِ الموصولِ هو الإيذانُ بأنَّه ينبغي أن يكونَ قصدُهم بردِّه إليهم استكشافَ معناه، واستيضاحَ فحواه، أي: لعَلِمه أولئك الرَّادُّون الذين يستنبطونه، أي: يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيرَه منهم، أي من جهة الرَّسول ﷺ وأولي الأمرِ من صحابته رضوانُ الله عليهم أجمعين، ولمّا فعلوا في حقه ما فعلوا؛ فلم يقَعْ ما وقع من الاشتباه وتوهّم الاختلاف[1]، ولزِيَادَةِ تَقرير الغَرَضِ المَسُوق لَهُ الكَلَام، أو لِذَمِّهم، أو للتَّنبيه على خَطَئِهم في الفَحْصِ عن استِخرَاجِ وإظهارِ خَفيّ ذَلكَ الأَمر[2].

وعلى القول الثَّاني يكون "التَّقديرُ: ولَو أنَّ المُنافِقينَ ردُّوه إلى الرَّسُولِ، وإلى أُولي الأَمرِ لكانَ علمُهُ حاصِلًا عندَ مَنْ يَستَنبِطُ هذه الوَقائِعَ مِنْ أُولي الأَمرِ؛ وذلكَ لأَنَّ أُولي الأَمرِ فَريقانِ: بَعضُهُم مَنْ يَكُونُ مُستَنبِطًا، وَبَعضُهُم مَنْ لَا يَكُونُ كَذلكَ، فَقَوْلُهُ: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ يَعنِي: لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَستَنبِطُونَ المَخفِيَّاتِ مِنْ طَوائِف أُولي الأَمْرِ"[3].

توجيهُ الاسْتِعَارَةِ في قوله: ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾:

إجراءُ الاستعارةِ ما بَـيْنَ المكنيَّة والتَّمثيليَّة

في قوله: ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: استعارةٌ مكنيةٌ، وقد حذَفَ المشبَّه به وأُتي بشيءٍ من لَوازمِه؛ فقد شَبَّه التَّثبُّت مِنَ الخَبر بَرَدِّه إلى رَسُولِ الله ﷺ وأُولي الأَمر باستنباطِ الماء مِنْ حَفيرِه على سَبيلِ التَّخييل، والقَرينَةُ المانِعَةُ مِنْ إرادة المعنى الأَصليّ للاستنباطِ استحالةُ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/208.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 3/235.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 10/154، والقاسمي، محاسن التأويل: 3/235.

إضافته إلى ضَمير الخَبَر، ثُمَّ تَرشِيح الاستعارة بالجارّ والمجرور ﴿مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: مِنۡ رَسُولِ الله ﷺ وأُولي الأَمرِ.

ويُمكِن إجراؤها على النَّحو الآتي: شُبِّهَتۡ هيئة البَاحثين عن صِحَّة الأخبار والتَّثبُّت منها بحالِ المُنقِّبين عن الماء حتَّى ينبط من قَعر البئر، والجَامع بينهما الصَّبرُ والمُكابدَةُ والجَلَدُ للوصُولِ إلى الخَبر الحَقيقيّ، وفيه من الحثِّ والإرشادِ ما لا يخفَى[1]. فتكونُ استعارةً تمثيليةً، وتَعْدِيَةُ الفعلِ إلى ضَمِيرِ الأَمرِ على اعتبارِ المَعنَى العُرفيِّ، ولَولا ذلكَ لَقِيلَ: يَستَنبِطُونَ منهُ، كَما هُوَ ظَاهِرٌ، أَو هو على نَزعِ الخَافِضِ[2].

بلاغةُ الالتفات في الآيةِ:

الخِطَابُ في قولِه تعالَى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ مُوجَّهٌ للطَّائفَةِ المَذكُورَةِ على طَريقَةِ الالتفَات؛ أي: لَولَا فَضْلُه تَعالى عليكم ورحمتُه بإرشَادِكُم إلى طَرِيقِ الحقِّ الَّذي هو المُرَاجَعَةُ في مَظَانِّ الاشتِبَاهِ إلى الرَّسُولِ ﷺ وأُولي الأَمرِ ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾، وعمِلتم بآراءِ المنافقين فيمَا تأتونَ وما تذرونَ، ولم تهتدُوا إلى سُنن الصَّوابِ[3].

العنايةُ بالمُخاطَبين بإظهارِ رحمةِ الله بهم

جملةُ الشَّرطِ بمثابةِ التَّعليلِ لما بعدَها؛ فوجُودُ فَضْلِ الله تعالى عَليكُم ورحمتِه هو العِلَّةُ في عَدَمِ اتِّباعِكُم الشَّيطانَ.

قيامُ جملةِ الشَّرطِ مقامَ التَّعليلِ

استِثناءُ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ مِنۡ عُمومِ الأَحوالِ المُؤذن بها ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ﴾؛ أَي: إلَّا في أَحوالٍ قَليلةٍ، فإن كانَ المُرادُ مِن فَضلِ اللَّهِ ورَحمَتِه ما يَشمل البَعثَةَ فما بَعدها، فالمُرادُ بالقَليلِ: الأَحوالُ الَّتي تَتساقُ إليها النُّفوس في بعض الأَحوالِ بالوازِعِ العَقليِّ أو العَادِيِّ. وإن أُريدَ بالفَضلِ والرَّحمةِ النَّصائحُ والإرشاداتُ فالمُرادُ بالقَليل: ما هو

(1) البنَّاني، سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية، ص: 442.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/141.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/209.

مَعلُومٌ مِنْ قَواعد الإسلام. ولَكَ أَن تَجعلَهُ استثناءً مِنْ ضَميرِ ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾؛ أي: إلَّا قليلًا مِنكُم، فالمُرادُ مِنَ الاتِّباعِ اتِّباعُ مِثل هذه المَكائد الَّتي لا تَرُوجُ على أَهلِ الرَّأي مِنَ المُؤمنين[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المجيء والإتيان:

(جَاءَ) و(أَتَى) يَستَويانِ في الماضي، و(يَأْتِي) أَخَفُّ مِنْ (يَجِيءُ)، وكذَا في الأَمرِ (جِيئُوا بِمِثْلِه) أَثْقَلُ مِنْ (فَأْتُوا بِمِثْلِه)، ولَم يَذكُرِ اللَّهُ إلَّا (يَأْتِي) و(يَأْتُونَ)، وفي الأَمرِ: فَأْتِ، فَأْتِنَا، فَأْتُوا؛ لأَنَّ إسكَانَ الهَمزَةِ ثَقِيلٌ؛ لِتَحريكِ حُروف المَدِّ واللِّين، تَقُولُ: جِيءَ أَثقَلُ مِن ائْتِ، وأَمَّا في المَاضِي فَفِيهِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ: أَنَّ (جَاءَ) يُقَالُ في الجَوَاهِرِ والأعيان، وأَتَى في المعاني والأزمان[2].

الخَوف والوَجَل:

وَجِلَ الرَّجُلُ يوجَلُ وجلًا إذا قَلِق ولم يَطْمئن، ويُقالُ: أنا مِنْ هذا على وَجَلٍ ومِنْ ذلكَ على طَمَأنِينَةٍ، ولا يُقالُ على خَوفٍ في هذا المَوضِع، وفي القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2]؛ أي: إذا ذُكِرَت عَظَمَةُ اللهِ وقدرتُهُ لم تَطمَئِنَّ قُلُوبُهم إلى ما قَدَّموه مِنَ الطَّاعة، وظَنُّوا أَنَّهم مُقصِّرون فاضطربُوا من ذلك وقَلِقُوا، فليس الوَجَلُ مِنَ الخَوفِ في شيءٍ، وخَافَ مُتَعَدٍّ، ووَجِلَ غَير مُتَعَدٍّ، وصِيغَتاهُمَا مُختَلِفَتانِ أيضًا، وذلكَ يدلُّ على فَرْقٍ بينهما في المعنى[3].

الخَشيَة والخَوف:

"الخَشيةُ أخصُّ من الخوف؛ فإنَّ الخَشيةَ للعُلَماءِ باللّه تعالى، فهي خَوفٌ مَقرُونٌ بمعرفةٍ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: "أَنَا أَعْلَمُكُم باللّه وأَشَدُّكُم لَه خَشْيَةً"[4]. فالخَوفُ حَرَكَةٌ، والخَشيَةُ انجِمَاعٌ وانقِبَاضٌ وسُكُونٌ. فالخَوفُ لعامَّةِ المؤمنين، والخَشيَةُ للعُلَماءِ العَارفين، والهيبة

(1) الراغب، تفسير الراغب: 3/1355، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/142.
(2) الزركشي، البرهان: 4/80 - 81.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثري: (الأنعام: 81).
(4) البخاري (6101)، ومسلم (2356).

للمُحبِّين، والوَجَلُ للمُقرَّبين، وعلى قَدر العِلم والمعرفَةِ تكونُ الخَشيَة، وقال الزَّركشي: الخَشيَةُ تكونُ من عِظَم المَخشيِّ وإن كانَ الخَاشِي قويًّا، والخَوفُ يَكونُ مِنْ ضَعفِ الخَائِفِ وإن كانَ المَخوفُ أمرًا يَسيرًا[1].

وسُئِلَ ابنُ عَطاء: مَا الفَرقُ بَينَ الخَشيةِ والخَوفِ؟ فَقالَ: الخَشيَةُ مِنَ السُّقوطِ عَن دَرَجاتِ الزُّلفَى، والخَوفُ مِنَ اللّحوق بدركات المَقْتِ والجَفَا، وقال بعضُهُم: الخَشيةُ أدَقُّ والخَوفُ أَصْلَبُ[2].

الإذاعَة والإفْشَاء:

أنَّ معنى ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾؛ أَي: أظهَرُوه ونادَوا بِهِ فِي النَّاس، والمِذْياع: الَّذِي لَا يكتمُ السِّرَّ، وقَومٌ مَذاييعُ. فالإذاعة: التَّحدُّثُ بالأَمرِ بَقَصدٍ وعَلَانِيَةٍ وإِسَاءَةٍ ليعلمَه النَّاسُ[3]. والإفشاءُ: يكون بِالكِتَابَةِ والإِشَارَة والكَلَام، وهو كَثرَةُ الإظهارِ، ومِنهُ أَفْشَى القَومُ إذا كَثُرَ مَالُهم، ولهذا يُقال: فَشَى الخَيرُ في القَومِ أو الشَّر إذا ظَهَرَ بكَثرَةٍ، ولا يَصحُّ إلَّا فيما لا تَصحُّ فيه الكَثرَة، ومِنهُ: تَفَشَّى الشَّيءُ: إذا اتَّسَعَ[4].

الرَّدّ والرُّجُوع:

الرَّدُّ: صَرفُ الشَّيء بذاته، أو بحالةٍ من أَحواله، يُقال: رَدَدْتُهُ فَارْتَدَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: 147]، فَمِنَ الرَّدِّ بالذَّات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]، ومن الرَّدِّ إلى حالةٍ كان عليها قولُه: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 149]. والارْتِدَادُ والرِّدَّةُ: الرّجوع في الطَّريق الَّذي جاءَ منه، لكنَّ الرِّدَّةَ تختصُّ بالكُفر.

أمَّا الرُّجُوعُ: فالعَودُ إلى ما كان مِنه البِدْءُ، أو تقدير البِدْءِ مكانًا كانَ أو فِعلًا، أو قولًا، وبذاته كان رُجوعه، أو بجزءٍ من أجزائه، أو بفِعلٍ من أفعاله. فَالرُّجُوعُ: العَودُ، والرَّجعُ: الإعادة[5].

(1) الزركشي، البرهان: 4/78، والكفوي، الكليات، ص: 428.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/167.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذيع).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 286، والكفوي، الكليات، ص: 64.
(5) الراغب، المفردات: (رد)، (رجع).

العِلْم والمعرفَة:

أنَّ المعرِفَةَ أخصُّ مِنَ العِلم؛ لأنَّها عِلمٌ بِعَينِ الشَّيءِ مُفَصّلًا عمَّا سِواهُ، والعِلمُ يَكُونُ مُجمَلًا ومُفَصّلًا، فكُلُّ مَعرِفةٍ عِلمٌ وليس كُلُّ عِلمٍ معرفةً؛ وذلك أنَّ لَفظَ المعرِفَة يُفيدُ تَمييز المَعلُوم مِن غَيره، ولَفظُ العِلم لا يُفيد ذَلكَ إلَّا بِضربٍ آخر مِنَ التَّخصيص في ذِكرِ المعلوم. والشَّاهدُ قَولُ أهل اللُّغة: إنَّ العِلْمَ يتعدَّى إلى مَفعولَين ليس لكَ الاقتصار على أحدِهما إلَّا أن يكونَ بمعنى المَعرفة، ولا تنافي بَينَ تَفسيرِ العِلْم بالمعرفةِ والمعرفة بالعِلْم، وبَينَ أن يكُونَ لكُلٍّ مِنهُما مع ذَلكَ معنًى يختَصُّ بهِ، وإنَّما المقصودُ اشتراكهما في المفهوم الإجمالي المُستَنِد إلى ثُبوتِ معنًى في النَّفس هو حقيقةُ العِلْم والمعرفةِ، وكما يقول الإمام ابنُ حَزْم: فالعِلْمُ والمعرفةُ اسْمان واقِعَان على معنًى واحد، وهو اعتقادُ الشَّيءِ على ما هو عليه وتيقُّنه وارتفاع الشُّكوك عنه[1].

الفَضل والنِّعمَة:

إنَّ فَضلَ اللَّهِ إشَارَةٌ إلَى مَا عِندَهُ مِنَ الخَيرِ، وهُوَ مُستَغنٍ عنهُ، والنِّعمَةُ إشارَةٌ إلى ما يَصِلُ إلى العَبدِ وهُوَ مُحتَاجٌ إلَيهِ؛ لأَنَّ الفَضلَ في الأَصلِ يُنبِئُ عَنِ الزِّيَادَةِ، وعِندَهُ خَزَائِنُ مِنَ الرَّحمَةِ لَا لِحَاجَةٍ إلَيهَا، ويُرسِلُ مِنهَا على عِبَادِهِ ما لَا يَبقَونَ مَعَهُ في وَرطَةِ الحَاجَةِ بِوَجهٍ مِنَ الوُجُوهِ، والنِّعمَةُ تُنبِئُ عَنِ الرَّأفَةِ والرَّحمَةِ وهو مِنْ جَانِبِ العَبدِ، وفيه مَعنًى لَطِيفٌ وهو تَأكِيدُ الإعطَاءِ[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 80، وابن حزم، الفصل في الملل: 5/68.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 28/103.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»